

مجدداً، توحيد تاريخ الفصح إعداد أسرة التراث الأرثوذكسي

في ٢٣ تشرين الثاني ٢٠٢٢، أوردت وكالة زينيت خبراً عنوانه "بطريرك القسطنطينية: المفاوضات جارية ليحتفل الكاثوليك والأرثوذكس بعيد الفصح في اليوم نفسه"، وفي التعليق العريض "الاتفاقية الممكنة ستكون مهمة لأجل يوبيل ٢٠٢٥". المقال من كتابة ندى بطرس في زاوية "الكنيسة والعالم".

الخبر منقول عن القسم الإنكليزي من زينيت، وفيه أنه تجري مفاوضات بين ممثلين عن الكنيستين الأرثوذكسية والكاثوليكية للتوصل إلى اتفاقية حول الاحتفال "بأهم تاريخ بالنسبة إلى المسيحيين، أي عيد الفصح". وأن هذه المفاوضات المذكورة تجري في إطار الاحتفال المقبل للذكرى ١٧٠٠ لمجمع نيقيا الذي جرى سنة ٣٢٥، والذي ما زالت أحكامه ملزمة للطرفين. وينقل المقال عن البطريرك برثلماوس أنه ستتم استشارة أخصائيين بهدف تحديد أكثر تاريخ دقة للاحتفال بالفصح، "نظراً إلى أن العيد يتعلّق أيضاً بمجالات علمية من المعرفة البشرية". كما رأى بطريرك القسطنطينية "أن اللحظة حانت للكنيسة الأرثوذكسية والكاثوليكية لتحدداً تاريخياً مشتركاً للاحتفال بقيامة المسيح". وأمل أن نتمكن من التوصل إلى اتفاقية لهذه المناسبة.

يذكر المقال أن هناك احتفالات مشتركة سوف تُقام سنة ٢٠٢٥ للذكرى ١٧٠٠ لمجمع نيقيا، وأن اتفاقية الاحتفال بقيامة يسوع ستكون من أهم لحظات هذا اليوبيل.

لقد هلّل كثيرون، خاصةً من الأنطاكيين الأرثوذكسيين، لهذا الخبر وتناقلته عدة مجموعات على شبكات التواصل الاجتماعي. هذا الأمر مفهوم، حيث أن الأنطاكيين هم الأقدم بين الأرثوذكس في التعايش مع الانشقاقات، الناتجة عن البدع والهرطقات وتعدد الطوائف والأديان، وبينهم عائلات كثيرة بشكل وجود عيدين للفصح مشكلة بالنسبة لها.

الواقع يستدعي العودة إلى التاريخ قليلاً، حيث أنه في أوائل القرن الماضي تمّ اتفاق سنة ١٩٢٣ بين بعض الأرثوذكس مع الكاثوليك، على أن ينتقل الأرثوذكس إلى تعييد الأعياد الثابتة بحسب التقويم الغريغوري (الغربي)، على أن يتبع ذلك ملاقة غربية، بحيث تتوحد الأعياد المسيحية. واليوم ينقضي القرن الأول على هذا الاتفاق ولم يتحرك الكاثوليك قيد أنملة، بل كل ما تحقق هو انقسام بين الأرثوذكس أنفسهم، حيث ما زالت الغالبية (روسيا، صربيا، جورجيا، بلغاريا، اورشليم ومكدونيا أي ٧٠ بالمئة تقريباً) تعيّد الأعياد الثابتة بحسب التقويم اليولياني، فيما الأقلية تعيد هذه الأعياد بحسب التقويم الغريغوري (أنطاكية، القسطنطينية، الاسكندرية، قبرص، اليونان، ألبانيا، ورومانيا).

الواقع اليوم يقول أن كثيرين يخلطون بين توحيد تاريخ العيد والوحدة المسيحية. يشارك في تثبيت هذا الفهم الخاطئ العديد من وسائل الإعلام والمسؤولين الكنسيين والفلتان القائم عبر وسائل التواصل الاجتماعي حيث يكتب من يشاء ما يشاء من غير رقيب أو مصحح أو مراجع.

كتب صاحب السيادة الميتروبوليت أفرام كريكوس مطران طرابلس والكورة وتوابعها توجيهاً في نشرة أبرشيته "الكرمة" في عدد الأحد ٧ شباط ٢٠١٦، بعنوان "هل بوحدة تاريخ الفصح نصح 'واحداً في المسيح؟'" ما يلي هو هذا التوجيه نعيد نشره لأهميته ودقته في توجيه المؤمنين إلى عدم الخلط بين الأمور. "كلنا واحد في المسيح"، هي عبارة نسمعها من بعض المسيحيين الأرثوذكسيين وغير الأرثوذكسيين، تصف لنا إلى أي حد من السذاجة وصل إيمان معظم المسيحيين في هذه الأيام. الخشية أن لا يكون أبناؤنا على معرفة بإيمانهم المستقيم الذي لطالما تباهاوا به أمام الآخرين، لمجرد التباهي، وإن سألت أحدهم دستور الإيمان، فهو يجهله. الخشية على أولادنا أن لا يكونوا على علم، ولو بشكل بسيط، بالخلافات العقائدية بين الإيمان الأرثوذكسي القويم وبين معتقد الجماعات المسيحية الأخرى. سنحاول طرح بعض الأسئلة لنرى هل نحن فعلاً "واحد في المسيح" مع الجماعات المسيحية الأخرى؟

هل نحن واحد بحيث نقف، مع رجال دين غير أرثوذكسيين، إلى مذبح واحد و نتناول من ذبيحة واحدة في سر الإفخارستيا المقدس؟ هل تؤمن بكنهوت واحد، فيه التسلسل الرسولي؟ فهناك، مثلاً بعض الجماعات المسيحية التي لا تؤمن بكنهوت بشري وتري في المسيح أنه هو الكاهن الأوحده. كما أن هناك شكاً من جهة كنيسةنا الأرثوذكسية، بكنهوت الكهنة عند الجماعات المسيحية الأخرى، من حيث تسلسلها الرسولي.

هل نحن واحد في الصوم؟ واحد في الشفاعة؟ واحد في القديسين؟ واحد في الكتاب المقدس؟ هل نحن واحد في قانون الإيمان؟ هل نحن واحد في الصلاة؟ في الأنبياء؟ في التسابيح؟ هل نحن واحد في النظرة إلى المطهر؟ فمثلاً، عند بعض الجماعات المسيحية، يؤمنون بأن بعض الأسفار من الكتاب المقدس هي أساطير. هناك من ينكرون عذرية مريم والدة الإله، هناك من ينكرون قيامة المسيح، منهم من يهاجمون تعاليم الرسل وأقوالهم في الكتاب المقدس. منهم من يقيم العقل رقيباً على الكتاب المقدس، فما يقبله العقل يقبلونه وما لا يقبله العقل لا يقبلونه.

إنّ عبارة لا تهمني الخلافات يهمني توحيد الأعياد تعني أنا لا يهمني الإيمان و أزدرى الذين ضحوا بأنفسهم وقطعت ألسنتهم و أيديهم، من الآباء القديسين، لكي يحافظوا على الإيمان ويسلمونا الوديعه كما تسلّموها هم دون زيادة أو نقصان. فقول القائلين أنا لا تهمني الخلافات و إنّما توحيد الأعياد، يدلّ على طبيعة إيمانهم الشخصي كم هو سطحي وغير عميق، لأنّ الذي يهّمه أمر الحصول على الذهب الذي لا يفنيه سوس، عليه أن يغوص أكثر في البحث في أعماق الأرض، حتى يصل إلى مرتجاء، لا أن يبحث سطحياً لأنّه لن يجد شيئاً في المنتهى.

كلنا نريد أن تتم الأعياد في تاريخ واحد، و لكن الأهمّ أن يكون الإيمان واحداً. فكيف يتمّ الإتحاد؟ الإيمان الواحد هو أساس كل شيء، حسبما قال الرسول بولس في رسالته إلى أهل أفسس ٤: ٥ "ربّ واحد، إيمان واحد، معمودية واحدة". أمر الإيمان كانت تبحث به المجمع

المسكونية، لكي تكون الكنيسة كلّها في إيمان واحد. فالذي لا يؤمن بما أقرته المجامع يعدّ مفروزاً أي خارج الكنيسة، وهذه هي نظرتنا ككنيسة المسيح اليوم. فكلّ من لا يؤمن إيماننا هو مفروز، أي خارج جماعتنا، أي خارج الكنيسة. وحدة الكنيسة هي وحدة إيمان، تنبع من الكنيسة و ليس من خارجها، و هي ليست وحدة أعياد وليست وحدة شعوب مسيحية في مناسباتهم في بلد ما.

الوحدة الكنسية تعني التخلّص من الأحرار القديمة. فلا يمكن أن تكون هناك وحدة وهناك أحرار. أيضا الوحدة تعني النظر في موضوع القديسين الذين أعلنت قداستهم بعد الإنشاقات. فهناك مثلا جماعات مسيحية أعلنت قداسة بعض الأشخاص الذين تعتبرهم كنيسةنا الأرثوذكسية هراطقة، كما أنّ هناك الكثير من القديسين في كنيسةنا الأرثوذكسية، يعتبرون هراطقة في نظر بعض الجماعات المسيحية الأخرى.

من الممكن أن نقول إنّ بيننا وبين هذه الجماعات شيئا من التعاون في الأمور المشتركة، أمّا عبارة "وحدة" فهي أكبر بكثير ممّا يحدث، حتّى ولو صُودف وقوع الأعياد في التاريخ ذاته أحيانا.

نحن نجاهد لنصل إلى الوحدة. فهناك إجتماعات تحصل مع الجماعات المسيحية الأخرى، نتناقش خلالها في الأمور اللاهوتية، كي نصل إلى اتّفاق لاهوتيّ. فالوحدة هي على أساس الإيمان أوّلاً وبعده كلّ الحوارات سنؤول إلى الإتحاد في جميع الأمور لا محالة.